مختارات من شعر الشابى

يا شعر

يـــا شـــعرُ أَنْـــتَ قـــمُ الـــشعور ، وصـــرخةُ الـــروح الكئيـــبْ
يا شعر أنـــت صـــدى نحيـــب القلـــب ، والصِّـــب الغـــــريب

* *

يـــا شـــعر أنـــت مـــدامعُ عُلِقـــتْ بأهـــداب الحيـــاة
يـــا شعـــر أنت دمٌ ، تفجّـــر مـــــن كلـــــوم الكائنـــات

* *

يـــا شـــعر ! قلـــبى ـــ مثلمـــا تـــدرى ـــ شـــقى ، مظلُـــم
فيـــه الجـــراحُ ، النجْـــلُ ، يقـــطر من مغاورهـــا الـــــدمُ

* *

جمـــدت علـــى شـــفتيه أرزاءُ الحيـــاة العابـــسة
فهو التعيـــسُ ، يُذيبـــه نـــوح القلـــوب البائســـــــةْ

* *

أبـــدًا ينـــوح محرقـــةٍ ، بـــين الأمـــانى الهاويـــةْ

كالبلبـــــل الغرِّيـــــد مـــــا بـــــين الزهـــــور الذاويـــــه

* *

كـــمْ قـــد نـــصحتُ لـــه بـــأن يـــسلو ، وكـــمْ عزَّيتُـــه
فـــأبى ، ومـــا أصغـــى إلى قـــولى ، فمـــا أجديتـــــــه

* *

كم قلت : (صـــبرًا يـــا فـــؤادُ ! ألا تَكُـــفَّ عـــن النحيـــبْ ؟)
(فـــإذا تجلّـــدت الحيـــاةُ تبـــــــدّدتْ شُعَـــــــلُ اللهيـــــب)

* *

(يـــا قلـــب ! لا تجـــزع أمـــامَ تـــصلُّبِ الـــدهر الهـــصورْ)
(فـــإذا صرخـــتَ توجُّعـــــا هزئـــــت بـــصرختكَ الـــدهور)

* *

(يـــا قلـــب ! لا تـــسخط علـــى الأيـــام ، فـــالزهر البـــديْع)
(يصغى لضجـــات العواصـــف قبـــل أنغـــــام الربيـــــع)

* *

(يـــا قلـــب ! تقنـــعْ بـــشوك اليـــأس مـــن بـــين الزهـــورْ)
(فـــوراءَ أوجـــــاع الحيـــاة عذوبـــــةُ الأمـــــل الجـــسور)

* *

(يـــا قلـــب ! لا تـــسكبْ دموعَـــكَ بالفـــضاء فتنـــدمِ)

(فعلى ابتسامات الفضاء قساوةُ المتهكِّمِ)

* *

لكنّ قلبي وهو ـ مُخضلُّ الجوانب بالدموعْ ـ
جاشتْ به الأحزانُ ، إذا طفحت بها تلك الصدوع

* *

يبكي على الحلم البعيد بلوعةٍ ، لا تنجلي
غردًا ، كصَدَّاح الهواتف فى الفلا ، ويقول لى

* *

(طهِّرْ كلومكَ بالدموع ، وخلِّها ، وسبيلَها)
(إن المدامع لا تضيع حقيرها وجليلها)

* *

(فَمنَ المدامع ما تدفّعَ جارفًا حَسَك الحياهْ)
(يرْمَى لهاوية الوجود بكل ما يبنى الطغاهْ)

* *

(ومن المدامع ما تألق فى الغياهب كالنجوم)
(ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الهموم)

* *

فارَحم تعاسته ، ونُحْ معه على أحلامِهِ

فلقـــد قضـــى الحلُـــم البديـعُ علـى لظـــى آلامِـــهِ

* *

يـــا شـــعر ! يـــا وْحـــىَ الوجـــود الحـــى ، يـــا لُغَـــةَ الملائـــكْ
غـــرِّدْ ، فأيَّامِـــى أنـــا تبْكـــى علـــى إيقـــاع نائـــكْ

* *

ردِّدْ علـــى سمـــع الـــدجى أنـــاتِ قلـــبى الواهيـــهْ
واســـكب بأجفـــان الزهـــور دمـــوعَ قلـــبى الداميـــه

**

فعـــلّ قلـــب الليـــل أرحـــم بـــالقلوب الباكيـــة
ولعـــلّ جفـــن الزهـــور أحفـــظ للدمـــوع الجاريـــة

* *

كـــم حرَّكـــت كـــفُّ الأســـى أوتـــارَ ذّيـــاك الحـــنينْ
فتهاملـــتْ أحـــزان قلـــبى فى أغاريـــد الأنانـــين

* *

فَلَكَـــمْ أَرَقْـــتُ مـــدامعى ، حـــتى تقرّحـــت الجفـــونْ
ثمَّ التفتَّ ، فلـــم أجـــد قلبًـــا يقاسمـــنى الـــشجـــون

* *

فعـــسى يكـــون الليـــل أرحـــم ، فهـــو مثلـــى ينـــدب

وعسى يصون الزهـــر دمعـــى ، فهـــــو مثـــل يـــسكـــب

* *

قـــد قنعـــتْ كـــفُّ المـــساء المـــوتَ بالـــصَّمت الرهيـــب
فغـــدا كأعمـــــاق الكهـــوف ، بلا ضجيـــج أو وجيـــب

* *

يـــأتى بأجنحـــة الـــسكون ، كأنـــه الليـــل البـــهيم
لكـــن طيـــفَ المـــوت قاسٍ ، والدجـــى طيـــفٌ رحيـــم

* *

مـــا للمنيـــة لا تـــرقُّ علـــى الحيـــاة النائحـــة ؟
سيَّـــان أفئـــدة تئـــن ، أو القلـــوب الـــصادحـــة

* *

يـــا شـــعرُ ! هـــلُ خلـــقَ المَنـــون بـــلا شـــعورٍ كالجمـــاد ؟
لا رعشـــة تعـــرو يديـــه إذا تملَّقـــه الفـــؤاد

* *

أرأيـــتَ أزهـــارَ الربيـــع ، وقـــد ذوتْ أوراقُهـــا
قهرت إلى صـــدر التـــراب ، وقـــد قـــضت أشواقُهـــا ؟

* *

أرأيـــت شـــحرور الفـــلا ، مترنمًـــا بـــين الغـــصون

جمـــد النشيـــدُ بصـــدره ، لمـــا رأى طيـــفَ المنـــون

* *

فقـــضى ، وقـــد غاضـــت أغاريـــدُ الحيـــاة الطـــاهرة
وهـــوى مـــن الأغصـــان ، مـــا بين الزهـــور الباســـرة ؟

* *

أرأيـــتَ أم الطفـــل تبكـــى ذلـــك الطفـــلَ الوحيـــد
لّما تناولـــه (بعنـــقٍ ، ساعـــد المـــوت الـــشديـــد ؟

* *

أسمعـــتُ نَـــوْحَ العاشـــق الولهـــانِ ، مـــا بـــين القبـــور
يبكـــى حبيبتـــه ؟ فيالمصَـــارع المـــوت الجـــسور

* *

طفحـــتْ بأعمـــاق الوجـــود ســـكينةُ الـــصبر الجليـــد
لمـــا رأى عـــدل الحيـــاة يـــضمه اللحـــدُ الكنـــود

* *

فـــدفقتْ لحنًـــا ، يـــردده علـــى سمـــع الـــدهور
صوتُ الحيـــاة بضجـــة .. ، تسعـــى علـــى شفـــة البحـــور

* *

يـــا شـــعرُ ! أنـــتَ نـــشيدُ أمـــواج الخـــضم الـــساحرة

الناصعـــات ، الباسمـــات ، الراقـصـــات ، الطاهـــرة

* *

الـــسافرات ، الـــصادحات مـــع الحيـــاة إلى الأبـــد ؟
كعرائـــس الأمـــل الضحـــوك ، يَمِسْـــنَ مـــا طـــال الأمـــد

* *

هـــا إن زهـــارَ الربيـــع تبـــسمتْ أكمامُهـــا
يرنـــو إلى الشَّفـــق البعيـــدِ ، تغُرُّهـــا أحلامهـــا

* *

فى صـــدرها أمـــلٌ ، يحـــدِّق نحـــو هاتيـــك النجـــوم
لكنـــه أمـــلٌ ، ستلحـــده جبابـــرةُ الوجـــوم

* *

فلـــسوف تغمـــض جفنـــها ، عـــن كـــل أضـــواء الحيـــاة
حيـــث الظـــلام مُخَيِّـــمٌ فى جـــو ذيـــاك الـــسبـــات

* *

هـــا إنهـــا همـــست بـــآذن الحيـــاة غريـــدَها
قتلـــتْ عـــصافيرُ ، صُـــدَاحَها ونـــشيدَها

* *

يـــا شـــعرُ ! أنـــت نـــشيد هاتيـــك الزهـــور الباسمـــة

يا ليتنى مثــل الزهـــــور ، بـــــلا حيـــــاة واجمـــــــة

* *

إن الحيـــــــاة كئيبـــــــة ، مغمـــــــورة بـــــــدموعها !!
والشمـــس أضجرهـــا الأســـى ، فى صحوهـــا وهجوعهـــا

* *

فتجرعـــت كأسًـــا دهاقًـــا ، مـــن مُشعـــشعة الـــشَّفَق
فتمايلـــتْ ، سَكـــرى إلى كهـــف الحيـــاة .. ولم تُفِـــق

* *

يـــا شـــعرُ ! أنـــتَ نحيبـــها لمـــا هـــوَتْ لـــسُباتها
يـــا شعـــرُ أنـــتَ صُداحهـــا ، فى موتهـــا وحياتهـــا

* * *

أنظـــر إلى شـــفق الـــسماء يفـــيض عـــن تلـــك الجبـــال
بشعاعـــه الخـــلاب ، يغمرهـــا ببـــسمـــاب الجمـــال

* * *

فيـــثير فى الـــنفس الكئيبـــة عاصـــفًا لا يركـــ
ويؤجِّـــج القلـــب المعـــذَّبَ شعلـــةً لا تخمـــد

* * *

يـــا شـــعر ! أنـــت جمـــال أضـــواء الغـــروب الـــساحرة

يا همسَ أمواج الماء ، الباسماتِ الحائرة

* * *

يا نای أحلامی الحبيبةِ ! يا رفيقَ صَبابتی
لولاكَ مت بلوعتی ، وبشقوتی ، وكآبتی

* * *

فيكَ انطوتْ نفسی ، وفيكَ نفختُ كلَّ مشاعری
فاصدح علی قمم الحياة بلوعتی ، يا طائری

* * *

النبى المجهول

أيها الشعب ! ليتنى كنتُ حطَّابًا ... فأُهْوى على الجـذوع بفأسـى !
ليتنى كنتُ كالسيول ، إذا سالت ... تهدُّ القبـورَ : رمـسًا بـرمسِ !
ليتنى كنت كالرياح ، فـأطوى ... كل ما يخنـق الزهـور بنحـسى!
ليتنى كنت كالـشتاء ، أَغـشَّى ... كلَّ ما أذبلَ الخريـفُ بقرسـى !
ليت لى قوَّةَ العواصف ، يا شعبى ... فـأُلقى إليـك ثـوْرَةَ نفـسى !
ليت لى قوة الأعاصير ، إن ضجّتْ ... فـأدعوك للحيـاة بنبـسى !
ليت لى قوة الأعاصير ... ! لكن ... أنت حيٌّ ، يقضى الحياة برمسِ! ..
أنت رُوحٌ غَبيّة ، تكره النُّـور ، ... وتقضى الـدهورَ فى ليْـل مَلـسِ
أنت لا تدرك الحقائق إن طافـتْ ... حواليك دون مـسِ وجـسِ ...
فى صباح الحياة ضَمْخْتُ أكوابى ... وأترعتُهـا بخمْـرةِ نفـسى ...
ثمّ قـدَّمتُها إليـكَ ، فأهرقْـتَ ... رحيقى ، ودُسْتَ يا شعبُ كأسى !
فتألّمْتُ .. ، ثُم أسكتُّ آلامى ، ... وكفكفتُ من شعورى وحـسى
ثم نضّدتُ مـن أزاهـير قلـبى ... باقةً لمْ يَمَـسَّها أيَّ إنْـسِى ...
ثم قـدْمتُها إليـك ، فمزَّقْـتَ ... ورودى ، ودُسـتَها أيَّ دوس

ثم ألبستَنى من الحزن ثوبًا وبشوك الجبال توَّجتَ رأسى

* *

إننى ذاهبُ إلى الغاب ، يا شعبى .لأقضى الحياةَ ، وحدى ، بيأسِ
إننى ذاهب إلى الغاب ، علِّى فى صميم الغابات أدفن بؤسى
ثم أنساكَ ما استطعتُ ، فما أنتَ بأهلٍ لخمرتى ولكأسى
سوف أتلو على الطيور أناشيدى وأفْضى لها بأشواق نفسى
فهى تدور معنى الحياة ، وتدرى .أنّ مَجْدَ النفوس يقظةُ حسِ
ثمَّ أفضى هناك ، فى ظلمة الليل ، وألْقى إلى الوجود بيأسى
ثمَ نخت الصنَوْبَرِ الناضر ، الحلو ، تخُطُّ السيول حفرةَ رمسى
وتظَلُّ الفصولُ تمشى حوالىَّ ، كما كُنَّ فى غضارة أمسى

* *

أيها الشعب ؟ أنتَ طفل صغير ، لاعبٌ بالتراب والليلُ مُغْمِس .!
أنتَ فى الكون قوَّة ، لم تَسُسْها فكرة ، عبقريَّةٌ ، ذات بأسِ
أنت فى الكون قوةٌ ، كبَّلتْها ظلماتُ العصور ، من أمس أمسِ ..
والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلى فى حساسيَّتى ، ورِقّةِ نفسى

* *

هكذا قال شاعرٌ ، ناولَ الناسَ رحيقَ الحياة فى خير كأسِ
فأشاحوا عنها ، ومرُّوا غضابا واستخفُّوا به ، وقالوا بيأسِ :

(قد أضاع الرشاد فى ملعب الجـــن ... فيـــا بؤســـه ، أصـــيب بمـــسّ)
(طالما خاطبَ العواطفَ فى الليـــل ... وناجى الأموات فى غير رمـــسِ)
(طالما رافقَ الظـــلامَ إلى الغـــاب ... ونادى الأرواحَ من كل جـــنسِ)
(طالما حدَّثَ الشياطين فى الـــوادى ... وغنَّـــى مـــع الريـــاح بجَـــرسِ)
(إنه ســـاحرٌ ، تعلّمُـــه الـــسّحرَ ... الشياطينُ ، كـــلْ مطلـــع شمـــسِ)
(فابعدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكـــل ... إنَّ الخبيـــثَ منبـــعُ رجـــسِ)
(أطـــردوه ، ولا تُصيخوا إليـــه ... فهو روحُ ، شرِّيرةٌ ، ذات نحسِ)

* *

هكذا قال شاعرٌ ، فيلـــسوف ، ... عـــاش فى شـــعبه الغـــنيِّ بـــتعْسِ
جَهِلَ الناس روَحـــه ، وأغانيهـــا ... فـــساموا شـــعورَه ســـوْمَ بخـــسِ
فهو فى مـــذهب الحيـــاة نـــبيء ... وهـــو فى شـــعبه مـــصابٌ بمـــسِ
هكذا قال ، ثمَّ سار إلى الغاب ، ... ليحيـــا حيـــاةَ شـــعر وقـــدسِ
وبعيدًا .. ، هناك .. ، فى معبد الغاب ... الـــذى لا يظِلُّـــه أى بـــؤسِ
فى ظلال الصنوبر الحلو ، والزيتون ... يقضى الحيـــاة : حرسًـــا بحـــرس
فى الصباح الجميل ، يشدو مع الطير ، ... ويمـــشى فى نـــشوة المتحـــسِّى
نافخًا نايَـــه ، حواليـــه ، تهتـــزُّ ... وودُ الربيـــع مـــن كـــلِّ فـــنسِ
شَعْرُهُ مُرَسلٌ ــ تداعبـــه الـــربحُ ... علـــى منكبيْـــه مثـــل الـــدمقس
والطيورُ والطِّرابُ تشدو حواليـــه ... وتغلو فى الدوح ، من كل جـــنسِ

وتراه عند الأصيل ، لدى الجدول ، يرنـــو الطـــائر المتحـــسِّى
أو يغنِّى بين الصنوبر ، أو يرنـو إلى سُـــدْفَة الظـــلام الممـــسى
فإذا أقْبَـــل الظـــلامُ ، وأمـــستْ ظلماتُ الوجود فى الأرض تغـــسى
كان فى كوخه الجميل ، مقيمـــا يسأل الكون فى خشوع وهمـــسِ
عن مصبِّ الحياة ، أين مـــداه ؟ وصميم الوجود ، أيَّانَ يُرســـى ؟
وأريـــجِ الـــورود فى كـــل وادٍ ونشيدِ الطيـــور ، حـــين تمـــسِّى
وهزيم الريـــاح ، فى كـــل فـــجٍّ ورسوم الحياةِ مـــن أمـــس أمـــس
وأغانى الرعـــاةِ أيـــن يوارِيهـــا سكونُ الفضاء ، وأيَّـــان تمـــسى؟

**

هكذا يصرف الحيـــاةَ ، ويُفـــنى حَلَقَاتِ السنين : حَرْســـا بحـــرس
يا لها من معيشةٍ فى صميم الغاب تضحى بـــين الطيـــور وتمـــسى !
يا لها من معيـــشة ، لم تُدّنـــسْها نفوس الـــورى بخبـــث ورجـــسِ
يا لها من معيشة ، هيَ فى الكون حيـــاة غريبـــة ، ذات قُـــدسِ

الأشواقُ التائهة

يا صميمُ الحيـــاة ! إنى وحيـــدٌ مدْلجٌ ، تائه . فـــأين شـــروقُك ؟
يا صميم الحيـــاة ! إنى فـــوادٌ ضائع ، ظامئُ . فـــأين رحيقـــك
يا صميم الحياة ! قد وجَمَ النْايُ وغام الفـــضا . فـــأين بروقـــك ؟
يا صميم الحياة ! أين أغانيـــك ! فتحتْ النجومُ يُـــصغِى مـــشَوقك

* * *

كنتُ فى فجرك ، الموشَّح بالأحلام ، عِطْرًا ، يُرفُّ فوق ورودِك
حالمًا ، ينهل الضياءَ ، ويُصغى لك ، فى نشـــوةٍ بوحى نشـــيدك
ثُمَّ جـــاء الـــدجـــى .. ، فأمســـيتُ أوراقًا ، بدادًا ، من ذابلات الـــورود

وضبابًا من الـــشذى ، يتلاشـــى بين هول الدجى وصَمت الوجـــود
كنتُ فى فجركَ المغلَّف بالـــسحر فـــضاءَ مـــن النـــشيد الهـــادى
وسحابًا من الـــرؤى ، يتـــهادى فى ضـــــمير الأزال والآبـــــاد
وضياءُ ، يعانق العـــالَمَ الرحـــب ويسرى فى كـــل خـــاف وبـــاد

انقضى الفجرُ .. ، فانحدرت مـــن الأفق تـــرابًا إلى صميـــم الـــوادى

* * *

يا صميم الحياة ! كم أنا فى الدنيا غريبٌ ! أشقى بغربة نفسى بين قوم ، لا يفهمون أناشيدَ فؤادى ، ولا معانى بؤسى فى وجودٍ مكبَّل بقيودٍ ، تائهٍ فى طلام شكٍ ونحس فاحتضِنِّى ، وضُمَّنى لك ــ كالماضى ــ فهذا الوجودُ علَّةُ يأسى

* * *

لم أجد فى الوجود إلا شقاءَ ، سرمدِّيًا ، وَلذّةً ، مضمحلَّهْ وأمانيَّ ، يُغرق الدمعُ أحلاها ، ويفنى يمُّ الزمان صداها وأناشيدَ ، يأكل اللهيبُ الدَّامِى مسرَّاتِها ، ويُبْقِى أساها ووروداً ، تموت فى قبضة الأشواك . ما هذه الحياة المُملَّةْ ؟! سأَمٌ هذه الحياة مَعَاد وصباحٌ ، يكر فى إثر ليل ليتنى لم أفِدْ إلى هذه الدنيا ، ولم تسبح الكواكبُ حولى ! ليتنى لم يعانق الفجر أحلامى ، ولم يلثم الضياءُ جفونى ! ليتنى لم أزل ــ كما كنت ، ضوءًا ، شائعًا فى الوجود ، غير سجين !

أحلامُ شاعر

ليـــت لى أن أعيش فى هـــذه الـــدنيا

ســـعـــيدًا بوحـــدتى وانفـــــرادى

أصرف العمر فى الجبال ، وفى الغابات ،

بـــيـــن الصنـــوبـــــر الـــمـــــيَّاد

ليس لى من شواغل العيش ما يصرف

نفســـى عـــن اســـتماع فـــــؤادى

أرقبُ الموت ، والحياةَ ، وأصـــغِى

لحـــديـــــث الآزال والآبـــــــاد

وأغنَّى مع البلابـــل فى الغـــاب ،

وأصغِـــى إلى خـــريـــر الـــــوادى

وأناجى النجومَ والفجرَ ، والأطيارَ

والنهـــرَ ، والضـــيـــاءَ الـــهـــادى

عِيشةَ للجمال ، والفن ، أبغيهـــا

بعيـــــدًا عـــن أمَّـــتى وبـــــلادى

لا أُعنِّى نفسى بـــأحزان شـــعبى
فهو حى ، يعيش عيْش الجمـــاد !

وبحسبى من الأسى مـــا بنفـــسى
من طريفٍ مُسْتحْـــدَثٍ ، وتِـــلاد

وبعيدًا عن المدينـــة ، والنـــاس ،
بعيدًا عـــن لغـــو تلك النـــوادى

فهو من معدن السخافة والإفـــك
ومـــن ذلك الهـــراء العـــــادى

أيْنَ هو من خرير ساقية الـــوادى
وخفْقِ الصدى ، وشدو شـــادى

وحفيفِ الغصون ، نمقَّهـــا الطـــلُّ
وهمـــس النســـــيم للأوْرادى

هـــذه عِيـــشةٌ تقـــدِّمها نفـــسى
وأدعـــو لمجـــدها ، وأنـــادى

قيودُ الأحلام

وأوَدُّ أنْ أحيـــا بفكـــرة شـــاعر ... فأرى الوجودَ يضيق عن أحلامى

إلاّ إذا قطّعتُ أسبابى مـــع الـــدنيا ... وعـــشتُ لوحـــدتى وظلامـــى

فى الغاب ، فى الجبل البعيد عن الورى ... حيث الطبيعة ، والجمال الـــسامى

وأعيشُ عِيـــشَةَ زاهـــدٍ مُتنَـــسَّكٍ ... مـــا إنْ تدنِّـــسهُ الحيـــاة بـــذام

هَجَرَ الجماعةَ للجبـــال ، تورُّعَـــا ... عنها وعن بطش الحيـــاة الـــدامى

تمـــشى حواليـــه الحيـــاة كأنهـــا ... الحلمُ الجميل ، خفيفـــةَ الأقـــدام

وتخِـــرُّ أمـــواج الزمـــان بهيبـــةٍ ... قدســـيَّةٍ ، فى يمِّهـــا المترامـــى

فأعيش فى غابى حيـــاةً ، كلّهـــا ... للفـــنِّ للأحـــلام ، للإلهـــام

لكـــننى لا أســـتطيع ، فـــإنَّ لى ... أمَّا ، يـــصدُّ حنانُهـــا أوهـــامى

وصِغارَ إخوانٍ ، يرون ســـلامهم ... فى الكائنات معلقًـــا بســـلامى

فقدوا الأب الحانى ، فكنتُ لضعفهـــم
كهْفـــا يَـــصُدُ غوائـــلَ الأيـــام

ويقيهم وَهَجَ الحيـــاة ، ولفحَهـــا
ويـــذود عنـــهم شِـــرَّة الآلام

فأنا المكبَّلُ فى سلاسلَ ، حيَّـــةٍ ،
ضحَّيْتُ من رأفى بهـــا أحلامـــى

وأنا الذى سكنَ المدينة ، مُكرهـــا
ومـــشى إلى الآتـــى بقلـــبٍ دام

يصغى إلى الدنيا السخيفةِ راغمًـــا
ويعيش مثـــل النـــاس بالأوهـــام

وأنا الذى يحيا بـــأرض ، قفـــرةٍ
مـــدحوَّةٍ للـــشكِّ والآلام ...

هجمت بى الدنيا علـــى أهوالهـــا
وخِضمِّها الرحب ، العميق الطامى

من غير إنـــذار فأحمـــل عُـــدتى
وأخوضـــه كالـــسابحِ العـــوَّام

فتحطمتْ نفسى علـــى شـــطآنه
وتأجَّجـــــــتْ فى آلامـــــــى

* * *

الويل فى الدنيا الـــتى فى شـــرعِها
فأُمسُ الطعام كريـــشةِ الرســـام ؟

أنا أبكيكَ للحب

ســـــتُ يـــــا أمـــــسَى أبكيـــــك لمجـــــدٍ أو لجـــــاه
ســـــلبته مِّـــــنى الـــــدُّنيا ، وبـــــزَتْنى رداهْ
فأنا أحتقـــرُ المـــجدَ وأوهـــام المجـــدَ وأوهـــام الحيـــاهْ

* * *

أو لعُمْـــــرٍ ، بلغـــــتْ منـــــه الليـــــالى منتـــــهاهُ
وتلاشـــــتْ فى خـــــضم الـــــزَّمَنِ الطـــــاغى قـــــواهْ
فأنـــا مازلـــت فى فجـــــر شبـــــابى أو ضُحـــــاه

* * *

لا ، ولا أبكيـــكَ يـــا أمـــسى ، إذا مـــا قلـــت (آه)
لنعـــــيم ، لم يَنـــــلْ قلـــــبيَ منـــــه مـــــشْتهاه
فبنـــــو الأيـــــام فى الدنيـــا كمـــا شـــاء الإلـــه

* * *

إنمـــا أبكيـــك للحـــبَّ ، الـــذى كـــان بهـــاه

يمـــــلأ الـــــدنيا فـــــأنى ســـــربُ فى الـــــدُّنيا أراه

فـــإذا مـــا لاحَ فجـــرٌ ، كـــان فى الفجـــر ســـناهُ

وإذا غـــردَّ طـــيرٌ ، كـــان فى الـــشدو صـــداهْ

وإذا مـــا ضـــاع عِطـــر ، كـــان فى العطـــر شـــذاهْ

وإذا مـــا رفَّ زهـــر ، وكـــان فى الزِّهـــر صِـــبَاهْ

فهـــو فى الكـــون جمـــال ، يَمـــلأ الأفـــقَ ضِـــياهْ

وتُوشِّـــى هـــذه الأكـــوانَ بالـــسِّحر رؤاه

وهـــو فى قلـــبى ــ الـــذى عانقـــه الفجـــرُ ــ إلـــهْ !

عبقـــريُّ الـــسِّحرِ ، ممـــراحٌ وديـــع فى سمـــاهْ

يَنـــسجُ الأحـــلامَ فى قلـــبى بأضـــواء الحيـــاهْ

ويُعمِّـــنى ، فأنـــسىَ فى مـــسراتِ غِنـــاهْ

كلِّ مـــا فى الكـــون مـــن حـــزن وأفـــراحٍ ، وعَـــداهْ

سرُّ النهوض

لا ينهض الشعبُ إلاّ حين يدفعــه
عزمُ الحياة ، إذا ما استيقظتْ فيــه
والحبّ يخترق الغــبراء ، منــدفعًا
إلى الــسماء ، إذا هبَّــتْ تناديــه
والقيْدُ يألفه الأمواتُ ، ما لبثــوا
أمّا الحيــاةُ فيُبْليهــا وتُبْليــه

* * *

صلوات فى هيكل الحب

عذبةٌ أنت كالطفــولةِ ، كالأحــلام

كاللحــن ، كالصبــاح الجــديــــدِ

كالسماء الضحوك كالليلة القمْــراء

كـــالورد ، كابتـــسام الوليـــد

يــا لهــا من وداعـــةٍ وجمـــال

وشــبــاب مُنــَعَّمٌ أمـــلـــــود !

يا لها من طهــارة ، تبعث التقديــ

س فــى مهجــة الشقيِّ العنيــد ....!

يا لها رقةً تكادُ يَرفُّ الــوَرْدُ

منـــها فى الـــضخرة الجلمـــود !

أيُّ شيءُ تراكِ ؟ هل أنتِ (فينيس)

تَهادتْ بين الــورى مــن جديــد

لِتُعيدَ الشبابَ والفرح المعسولَ

للعـــالم التعـــيسِ العميـــد !

أم ملاكُ الفردوس جاء إلى الأر

ض ليُحْى روحَ السلام العهيد ! أنتِ

... ، ما أنتِ ؟ رسمٌ جميـــل

عبقريٌّ مـــن فـــنٍّ هـــذا الوجـــود

فيك ما فيه من غموضٍ وعمقٍ

وجمـــــالٍ مُقـــــدّسٍ معبـــــود

أنتِ. ما أنت ؟ أنت فجر من السحر

تجلـــــى لقلـــــبى المعمـــــود

فأراه الحياة فى مونِق الحـــسن

وجّلى له خفـــــــايـــا الخلـــــود

أنـــتِ روح الربيـــع ، تختـــال فى الـــدنيا فتـــهتز رائعـــاتُ الـــورود وتهبُّ الحياة سكرى من العِطر ، ويـــدْوى الوجـــود بالتغريـــد كلمـــا أبصرتكِ عينايَ تمشين

بخطـــوٍ موقَّـــعٍ كالنـــشيد

خفَقَ القلبُ للحياة ، ورفَّ الزَّ

هرُ فى حقل عمريَ المجـــرود

وانتشتْ روحيَ الكئيبةُ بالحبَّ

وغنتْ كالبلبـــل الغـــرِّيـــد

أنت تُحيينَ فى فؤادى ما قــد
مات فى أمــسيَ الــسعيدِ الفقيــد
وتشيدين فى خرائب روحــى
مــا تلاشــى فى عهــديَ المجــدود
من طموحٍ إلى الجمالِ إلى الفنِّ ،
إلى ذلــــك الفـــضاء البعيـــد
وتَبُثِّين رقة الشوق ، والأحلامِ
والشدوِ ، والهــوى ، فى نــشيدى
بعد أن عانقت كآبُة أيْــامى
فؤادى ، وألجمــتْ تغــريــــدى
أنت أنشودة الأناشيد غنــاكِ
إلـــهُ الغنـــاء ، رَبُّ القـــصيد
فيك شبَّ ، وشِّحهُ الــسّحر
وشدوُ الهــوى ، وعِطــرُ الــورود
وتراءى الجمالُ، يرقص رقصًا
قُدُسَّــيا ، علــى أغــانى الوجــود
وتهادتْ فى أفقِ روحِكِ أوْزانُ
الأغـــانى ، ورقـــةُ التغريـــد

فتمايلتِ فى الوجود ، كلحْنِ

عبقريِّ الخيـــالِ حلـــوِ النـــشيد:

خطوات ، سكرانة بالأناشيد ،

وصوت ، كرجْـــع نـــايٍ بعيـــد

وقوام ، يكاد ينطق بالألحـــان

فى كـــــلِّ وقفـــــةٍ وقعـــــود

كلُّ شيءٍ موقع فيك ، حَـــتى

لَفْحةُ الجـــيـــد ، واهتزازُ النهود

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ فى قدْسها السامى ، وفى ســـــحرها الشجيِّ الفريـــد

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ ، فى رِقّةِ الفجـــر فى رونـــــق الربيـــع الوليـــــــد

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ ، كل أوانٍ

فى رُواءٍ مـــن الـــشباب ، جديـــد

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ فيك وفى عيـــ

ـْيـــكِ آيـــاتُ ســـحرها المَمْـــدُود

أنت دنيا من الأناشـــيد والأحْـــلام

والـــــسحْر والخيـــــال المديـــــد

أنتِ فوق الخيال ، والشِّعرِ ، والفنِّ

وفـــوْق النُّهـــىَ وفـــوق الحـــدود

أنتِ قُدْسِى ، ومعبدى ، وصباحى

وربيعى ، ونَشْوَتِى ، وخلـــودى

* *

يا ابنةَ النور ، إننى أنا وَحـــدى

مَن رأى فيـــك رَوعـــة المعبـــود

فدَعينى أعيش فى ظلك العـــذب

وفى قـــرب حُـــسنك المـــشهود

عِيشة للجمال ، والفن ، والإلهام

والطُّهر ، والـــسنّى ، والـــسجود

عِيشة الناسك البتُول يُناجى الرَّ

بَّ فى نـــشوةِ الـــذُّهول الـــشديد

وامنحينى السلامَ والفرحَ الـــرو

حيَّ يـــا ضـــوءَ فجـــريَ المنـــشود

وارحمينى ، فقدْ تهدمَّتْ فى كو

نٍ مـــن اليـــأس والظـــلام مَـــشيد

أنقذينى من الأسى ، فلقد أمسيـــ

تُ لا أستطيع حـــمـــلَ وجـــودى

فى شعاب الزَّمان والموت أمشى

تحت عِبءِ الحياة جَمَّ القيود

وأماشى الورَى ونفسى كالقبور

وقلبى كالعالم المهدود :

ظُلْمة ، ما لها ختام ، وهول

شائع فى سكونها الممدود

وإذا ما استخفنى عَبَثْ الناس

تبَّسمتُ فى أسى وجُمود

بسمة مُرَّة ، كأنَّى أستلُّ

من الشَّوْك ذابلاتِ الورود

وانفخى فى مشاعرى مَرَحَ الدنيا

وشُدِّى من عزميَ المجهود

وابعثى فى دمى الحرارة ، عَلِّى

أتغنَّى مع المُنى مِن جديد

وأُبثُّ الوجودَ أَنْغَامَ قلبِ

بُلْبُلىّ ، مكبِّلٍ بالحديد

فالصباحُ الجميلُ يُنعش بالدِّفء

حياة المُحطّم المكدود

أنقذيني ، فقد سئمت ظلامي !

أنقذيني ، فقد مللـــتُ ركـــودي ؟

* *

آه يا زهرتي الجميلة لو تدرين

مـــا جَـــدَّ في فـــؤادِي الوحيـــد

في فؤادي الغريب تُخْلق أكوان

من الـــسحر ذات حـــسن فريـــد

وشمـــوس وضـــاءة ونجـــوم

تنشـــر النـــورَ في فـــضاءٍ مديـــد

وربيع كأنه حُلُـــمُ الـــشاعرِ

في سَـــكرة الـــشباب الـــسعيد

ورياض لا تعرف الحلكَ الداجي

ولا ثـــورة الخريـــف العتيـــد

وطيـــور ســـحرية تتنـــاغى

بأناشـــيد حلـــوة التغريـــد

وقصور كأنها الشفق المخـــضوب

أو طلعـــة الـــصباح الوليـــد

وغيـــــوم رقيقـــــة تتـــــهادى

كأباديـــدَ مـــن نُثـــارِ الـــورود

وحيـــاة شـــعرية هـــى عنـــدى

صورة من حيـــاة أهـــل الخلـــود

كل هذا يشيده ســـحرُ عينيـــك

وإلهـــــام حـــــسنك المعبـــــود

وحرام عليـــك أن تهـــدمى مـــا

شادهُ الحُـــسنُ فى الفـــؤاد العميـــد

وحرام عليكِ أن تسحقى آمـــ

ـــالَ نفـــسٍ تـــصبو لعـــيشِ رغيـــد

منك ترجو سعادًة لم تجـــدها

فى حيـــاة الـــورى وســـحر الوجـــود

فالإلهُ العظيمُ لاَ يَرْجُمُ العَبْـــدَ

إذا كـــــان فى جـــــلال الـــــسجود

**

قلب الأم

يـــا أيُّهـــا الطفـــلُ الـــذى قـــد كـــان كـــاللحن الجميـــلْ
والـــوردةِ البيـــضاء ، تعبَـــق فى غيابـــات الأصـــيل
يـــا أيُّهـــا الطفـــلُ الـــذى قـــد كـــان فى هـــذا الوجـــودْ ،
فَرِحًـــا ، ينـــاجى فتنـــة الـــدنيا بمعـــسول النـــشيد
هـــا أنـــتَ ذا أطبقـــتْ جفنَيْـــك أحـــلامَ المنـــونْ
وتطـــايرتْ زمـــرُ الملائـــكِ حـــولَ مـــضجعكَ الأمـــينْ
ومـــضتْ بروحـــكَ للـــسماء عـــرائسُ النُّـــورِ الحبيـــب
يحملـــنَ تيجانًـــا ، مُذَهَّبَـــة ، مـــن الزَّهـــرِ الغريـــبْ
هـــا أنـــت ذا قـــد جَلْلتـــكَ ســـكينة الأبـــدِ الكـــبيرْ
وبكتـــك هاتيـــك القلـــوبْ ، وضـــمَّك القـــبرُ الـــصغيرْ
وتفـــرَّق النـــاسُ الـــذين إلى المقـــابر شـــيَّعوكْ
ونـــسُوكَ مـــن دنيـــاهُم ، حـــتى كـــأنْ لم يعرفـــوك
شـــغلتهمُ عنـــك الحيـــاةُ ، وحـــربُ هـــذى الكائنـــات
نَّ الحيـــاةَ ، وقـــد قـــضيْتَ قُبَيْـــلَ معرفـــةِ الحيـــاةُ ـــ

بحـــرٌ ، قراراتـــهُ الـــرَّدى ، ونـــشيدُ لُجَّتـــه ، شَـــكاةْ

وعلـــى شـــواطئه القلـــوبُ تـــئنُّ ، داميـــةً عُـــراةْ

بحـــر ، يجـــيشُ بـــه العواصـــفُ فى العـــشيةِ والغـــداةْ

وتُظلّلـــهُ سُـــحُبُ الظـــلام ، فـــلا ســـكونَ ولا إبـــاةْ

نَـــسيتكَ أمـــواجُ الـــبحيرةِ ، والنجـــومُ اللامعـــةْ

والبلبـــلُ الـــشادى ، وهاتيـــك المـــروجُ الـــشاسعةْ

وجـــداولُ الـــوادى النـــضير برقـــصها وخريرهـــا

ومـــسالكُ الجبـــل الـــصغير بعّثهـــا وزُهورهـــا

حـــتى الرفـــاقُ .. ، فـــإنهم لبثـــوا مـــدى يتـــساءلونْ

فى حـــيرةٍ مـــشبوبةٍ : (أيـــن اختفـــى هـــذا الأمـــين ؟)

لكنـــهم علمـــوا بأنـــك فى الليـــالى الداجيـــةْ

حملتـــكَ غِـــيلانُ الظـــلام إلى الجبـــال النائيـــةْ

فنـــسوكَ مثـــلَ النـــاس .. ، وانـــصرفوا إلى اللـــهو الجميـــلْ

بـــين الخمائـــل ، والجـــداولِ ، والـــروابى ، والـــسُّهولْ

ونـــسُوا وداعـــة وجهـــك الهـــادى ، ومنظـــرك الوســـيمْ

ونـــسوا تغنِّيـــكَ الجميـــلَ بـــصوتكَ الحلـــوِ ، الـــرخيمْ

ومـــضوا إلى المَـــرْج البـــهيج ، يطـــاردون طيـــوره

ويُزحزحـــــون صُـــــخورَهُ ، ويعـــــابثون زهـــــورَهُ

ويُـــشيِّدون مـــن الرمـــال البـــيض ، والحـــصب النـــضيرْ

غُرَفًـــا ، وأكواخًـــا تكلِّلُهـــا الحـــشائش والزهـــورْ

ويُنـــضِّدون مـــن الرُّبـــا ، بـــين التـــضاحك والحبـــور

طاقـــات وردٍ ، آبـــدٍ ، تُـــزرى بـــأوراد القـــصور

يُلقونهـــا فى النـــهر ، قربانًـــا لآلهـــة الـــسرورْ

فتـــسير فى التيّـــار ، راقـــصةً علـــى نَغـــم الخريـــر

كـــل نـــسُوك ، ولم يعـــودوا يـــذكرونك فى الحيـــاةْ

والـــدَّهر يـــدفنُ فى ظـــلام المـــوتِ حـــتى الـــذكريات

إلا فـــؤادًا ، ظـــلَّ يخفُـــقُ فى الوجـــود إلى لقـــاك

ويـــودُّ لـــو بَـــذلَ الحيـــاة إلى المنيـــةَّ ، وافتـــداك

فـــإذا رأى طفـــلاً بكـــاكَ ، وإن رأى شـــبحًا دعـــاكْ

يـــصغى لـــصوتك فى الوجـــود ، ولا يـــرى إلاَّ بهـــاك

يـــصغى لنغمتـــك الجميلـــة فى خريـــر الـــساقيةْ

فى رنـــة المزمـــار ، فى لغـــو الطيـــور الـــشاديةْ

فى ضَـــجَّة البحـــر المُجلجـــل ، فى هـــدير العاطفـــة

فى لجـــة الغابـــات ، فى صـــوت الرعـــود القاصـــفةْ

فى نُقيـــــة الحَمـــــل الوديـــــع ، وفى أناشـــــيد الرعـــــاةْ

بـــــين المـــــرُوج الخُـــــضر والـــــسَّفح المجلّـــــلِ بالثبـــــات

فى آهـــــة الـــــشاكى ، وضوضـــــاء الحُمُـــــوع الـــــصاحبةْ

فى شـــــهقة البـــــاكى يؤَجِّجُهـــــا نُـــــواحُ النادبـــــة

فى كـــــلِّ أصـــــواتِ الوجـــــودِ : طَروبِهـــــا وكئيبـــــها

ورخيمهـــــا ، وعنيفهـــــا ، وبغيـــــضها ، وحبيبـــــها

ويـــــراك فى صُـــــورَ الطبيعـــــة : حلوهـــــا ، ودميمهـــــا

وحزينـــــها وبهيجهـــــا ، وحقيرهـــــا وعظيمهـــــا

فى رفـــــة الفجـــــر الوديـــــع ، وفى الليـــــالى الحالمـــــةُ

فى فتنـــــة الـــــشفق البـــــديع ، وفى النجـــــوم الباسمـــــةْ

فى رقـــــص أمـــــواج الـــــبحيرة تحـــــت أضـــــواء النجـــــومْ

فى ســـــحر أزهـــــار الربيـــــع ، وفى تهاويـــــل الغيـــــوم

فى لَمعـــــة الـــــبرق الخفـــــوق ، وفى هُـــــويِّ الـــــصاعقةْ

فى ذِلـــــة الـــــوادى ، وفى كِـــــبر الجبـــــال الـــــشاهقةْ

فى مَـــــشهَدِ الغـــــاب الكئيـــــب ، وفى الـــــورود [1]العاويـــــة

فى ظُلمـــــة الليـــــل الحـــــزين ، وفى الكهـــــوف العاريـــــةْ

---

(1) الورود ـ جمع ورد : الأسد .

أعرفتَ هذا القلبَ فى ظلماء هاتيك اللحودْ ؟
هو قلبْ أمِّك ، أمِّكَ السكرى بأحزان الوجود
هو ذلك القلب الذى سيعيشْ كالشادى الضرير
يشدُو بشكوى حزنِه الداجى إلى النفَس الأخير
لا ربَّةُ النسيان ترحمُ حزنه وترى شقاهْ
كلاّ ! ولا الأيام تبلى فى أناملها أساة
إلاّ إذا ضفرَتْ له الأقدارُ إكليلَ الجنون
وغدا شقِّيا ضاحكًا ، تلهو بمرآه السنونْ
هو ذلك القلبُ الذى مهما تقلّبت الحياةْ
وتدفعّ الزَمنُ . المُدمدمُ فى شِعابِ الكائناتْ
وتغنَّتْ الدَّنيا ، وغردَّ بلبلُ الغاب الجميلْ
سيظلُّ يعبدُ ذكرياتِكَ : لاَ يَمَلُّ ، ولا يميلْ
كالأرض : تمشى فوق تُربتها المسرَّةَ ، والشبابْ
والليلُ ، والفجرُ المُجْنح ، والعواصف ، والسحاب
والحبُّ تنبتُ فى مواطنه الشقائقُ ، والورود
والموتُ تُحقرُ ــ أينما يخطو ــ المقابرُ واللحودْ
وتمرُّ بين فجاجها اللذات ، حالمةً ، تميدْ

سـكرى . ، وأشـواقُ الـورى ترنـو إلى الأفـق البعيـد ...
وتظـلُّ تـرقص للأسـى ، للـهوِ ، أشـباحُ الـدهورْ
حـتى يواريهـا ضـبابُ المـوت فى وادى الـدُّثورْ
وتظـلُّ تُـورِقُ ، ثمَّ تزهـرُ ، ثمَّ ينـشرها الـصباحْ
للمـوتِ ، للـشوْك المُمَـزّق ، للجـداول ، للريـاحْ
بـسمَاتُ ثَغْـرٍ ، حـالمٍ ، يفتـرُّ فى سـهْوِ الـسرورْ
ووروْدُ روْضٍ ، باسـمٍ ، يُـصغِى لألحـان الطيـور
وتظـلُّ تخفـقُ ، ثم تـشْدُو ، ثم يطوِيهـا التـرابْ
قُبَـلٌ ، وأطيـار ، تُغـرِّدُ للحيـاةِ ، وللـشبابْ
وتظـلُّ تمـشِى فى جِـوَارِ المـوتِ أفـراحُ الحيـاةْ ! ..
ويغـرِّدُ الـشحرورُ مـا بـين الجمـاجم والرُّفـاتْ
والأرضُ حالمـةٌ : ، تغنِّـى بـين أسـراب النجـومْ
أنـشودةَ المـاضـى البـعيدِ ، وسُورةَ الأزلِ القديم .....

فى ظلّ وادى الموت

نحـــــن نمـــــشى ، وحولنـــــا هاتـــــه الأكـــــوا

ن تمـــــــشى .. ، لكـــــــن لأيـــــــة غايـــــــة

نحـــــن نـــــشدو مـــــع العـــــصافير للـــــشمس ،

وهـــــــذا الربيـــــــع يـــــــنفخ نايـــــــهْ

نحـــــن نتلـــــو روايـــــة الكـــــون للمـــــوت

ولكـــــــن مـــــــاذا ختـــــــام الروايـــــــةْ

هكـــــــذا قلـــــــت للريـــــــاح فقالـــــــت ،

(ســـل ضمـــير الوجـــود : كيـــف البدايـــة ?) .

* * *

وتغـــــشّى الـــــضباب نفـــــسى ، فـــــصاحت

فى مَلـــــلِ مُـــــرِّ : (إلى أيـــــن أمـــــسى ؟)

قلـــــت : (ســـــيرى مـــــع الحيـــــاة ..) فقالـــــت :

(مـــــا جنينـــــا ، تـــــرى ، مـــــن الـــــسيْر أمـــــس ?

فتـــهـــافـــــت كـــــالهـــــشـــــيـــم ــ علـــى الأرض

وناديـــــت : (أيـــــن يـــــا قلـــــب رفـــــشى ؟)

(هاتِـــــــه ، علـــــــى أخـــــــط ضـــــــريحى)

(فى سكـــــــون الدجـــــــى وأدفن نفســـــــى

* * *

هاتِـــــــهِ فـــــــالظلام حـــــــولى كثيـــــــف ...)

(وضـــــــباب الأســـــــى نُنـــــــيخ عليَّـــــــا ...)

(وكـــــــؤوس الغـــــــرام أنزعهـــــــا الفجـــــــر ،)

(ولكـــــــن تحطَّمـــــــتْ فى يـــــــديَّا ...)

(والـــــــشباب الغريـــــــر ولىَّ إلى الماضـــــــى)

(وخلَّـــــــى النحيـــــــبَ فى شـــــــفتيَّا ،)

(هاتـــــــه ، يـــــــا فـــــــؤادُ أنّـــــــا غريبـــــــان ،)

(نصـــــــوغ الحيَّـــــــاة فنَّـــــــا شجيَّـــــــا ...)

* * *

(قـــــد رقـــــصنا مـــــع الحيـــــاة طـــــويلا ..)

(وشـــــدوْنا مـــــع الـــــشباب ســـــنينا ...)

(وعَـــــدوْنا مـــــع الليـــــالى حُفـــــاةَ ...)

(فى شِـــــعاب الحيـــــاة حـــــتى دِمينـــــا ...)

(وأكلنـــــا التـــــرابَ حتَّـــــى مللنـــــا ...)

(وشـــــربنا الـــــدموعَ ، حـــــتى روِينـــــا ...)

(ونثرنـــــا الأحـــــلامَ والحـــــبّ والآلامَ ...)

(واليـــأسَ ، والأســـى ، حيـــث شِينـــــا ...)

* * *

(ثم مـــاذا ؟ هـــذا أنـــا : صـــرتُ فى الـــدنيا)

(بعيـــــدًا عـــــن لهوهـــــا وغِناهـــــا)

(فى ظـــــلام الفنـــــاء ، أدفـــــن أيّـــــامى ،)

(ولا أســـــتطيع حـــــتى بكاهـــــا ؟)

(وزهـــــورُ الحيـــــاة تهـــــوي ، بـــــصَمتِ)

(مُحْـــــزنِ ، مُـــــضجرٍ ، علـــــى قـــــدميَّا ،)

(جَـــفَّ ســـحر الحيـــاة ، يـــا قلـــبيَ البـــاكى ،)

(فهيَّـــا ، نجـــرب المـــوت .. ، هيَّـــا .. !)

* * *

الجنة الضائعة

كَـــمْ مـــن عُهـــودٍ عذبـــةٍ فى عَـــدْوَةِ الـــوادى النـــضيرْ
فِـــضّيةِ الأســـحار مُذْهَّبَـــةِ الأصـــائل والبكـــور
كانـــت أرقَّ مـــن الزهـــور ، ومـــن أغاريـــد الطيـــور
وألـــذّ مـــن ســـحر الـــصبّا فى بَـــسْمَة الطفـــل الغريـــر
قـــضيتها ومعـــى الحبيبـــةُ لا رقيـــب ولا نـــذير
إلا الطفولـــة حولنـــا تلـــهو مـــع الحُـــبِّ الـــصَّغير
أيـــام كانـــت للحيـــاة حـــلاوة الـــروض المطـــير
وطهـــارة المـــوج الحميـــل ، وسِـــحْرُ شـــاطئه المـــنير
ووداعـــة العـــصفور ، بـــين جـــداول المـــاء الـــنمير
أيـــامَ لم تعـــرف مـــن الـــدُّنيا ســـوى مَـــرَحِ الـــسُّرور
وتَتبُّع النَّحْل الأنيقِ وقَطْـــفِ تيجـــان الزهـــور
وتسـلُّقِ الجـبـلِ المكلـل بالصـنـوْبَـر والصخـور

وبنـــاء أكـــواخِ الطفولـــة تحـــت أعـــشاش الطيـــور

مـــسقوفةً بـــالورد ، والأعـــشاب ، والـــورق النـــضير

نـــبنى ، فتهـــدمها الريـــاحُ ، فـــلا نـــضجٌ ولا نثـــور

ونعـــود نـــضحك للمـــروج ، وللزَّنـــابقِ ، والغـــدير

ونخاطـــب الأصـــداء ، وهـــى تَـــرِفُّ فى الـــوادى المـــنير

ونعيـــد أغنيـــة الـــسواقى ، وهـــى تلغـــو بـــالخرير

ونَظَـــلُّ نـــركض خلـــف أســـراب الفَـــراش المـــستطير

ونمـــرُّ مـــا بـــين المـــروج الخـــضر ، فى ســـكر الـــشعور

نـــشدو ، ونـــرقضُ ــ كالبلابـــلِ ــ للحيـــاة ، وللحبـــور

ونظـــل ننثـــرُ للفـــضاء الرَّحْـــبِ ، والنـــهرِ الكـــبير

مـــا فى فؤادَيْنَـــا مـــن الأحـــلام ، أو حُلْـــوِ الغـــرور

ونَـــشِيدُ فى الأفُـــق المخـــضَّب مـــن أمانينـــا قـــصور

أزهـــى مـــن الـــشفَقِ الجميـــل ، وروْنـــقِ المَـــرج الخـــضير

وأجـــلَّ مـــن هـــذا الوجـــود ، وكـــلِّ أمجـــاد الـــدهور

أبـــدًا ، تُـــذِّلُلنا الحيـــاةُ بكـــلِّ أنـــواع الـــسرور

وثبـــتُّ فينـــا مـــن مـــراح الكـــون مـــا يغـــوى الوقـــور

فنسيرُ ، نَنْشُد لهوَنا المعبودَ ـ فى كل الأمور
ونظل نعبث بالجليل من الوجود ، وبالحقير :
وبالسائل الأعمى وبالمعتوهِ ، والشيخِ الكبير
بالقطة البيضاءِ ، وبالشاة الوديعة ، بالحمير
بالعشب ، بالفنن المنورِّ ، بالسنابل ، بالسفير
بالرْملِ ، بالصخر المحطَّم بالجداول ، بالغدير
واللْهوُ ، والعبَثُ البريءُ ، الحلوُ ، مطمحُنا الأخير
ونظل نقفز ، أو نُثْرِثرُ ، أو نغنى ، أو ندور
لا نسأم اللهوُ الجميلَ ، وليس يدركنا الفتور
فكأننا نحيا بأعصاب من المرَح المُثِير
وكأننا نمشى بأقدام مجنْحة ، تطير
أيام كنا لُبْ هذا الكون ، والباقى قشور
أيام تفرشُ سُبْلَنا الدنيا بأوراق الزهور
وتمرُّ أيام الحياة بنا ، كأسراب الطيُّور
بيضاء لاعبةً ، مُغرِّدةً مُجنَّحةً بنور
وتُرَفْرف الأفراحُ فوق رؤوسنا أبَّى نسبر

* * *

آه ! نـــــوارى فَجْـــــرِيَ القُدســـــيُ فى ليـــــل الـــــدهور
وفنَـــى ، كمـــا يفنَـــى النـــشيدُ الحلـــوُ فى صـــمت الأثـــير
أوَاهُ ، قـــد ضـــاعت علـــى ســـعادةِ القلـــب الغريـــر
وبقيـــــتُ فى وادى الزمـــــان الجَهْـــــمِ أدأبُ فى المـــــسير
وأدوسُ أشـــــواك الحيـــــاة بقلـــــبيَ الـــــدامى الكـــــسير
وأرى الأباطيـــــل الكـــــثيرة ، والمـــــآتم ، والـــــشرور
وتـــــصادُمَ الأهـــــواء بـــــالأهواء فى كـــــل الأمـــــور
وَمذَلَّـــــة الحـــــقِّ الـــــضعيف ، وعـــــزّة الظلـــــم القـــــدير !
وأرى ابـــــنَ ســـــائرًا فى رحْلَـــــةِ العُمـــــرُ القـــــصير
مـــا بـــينَ أهـــوال الوجـــودِ ، وتَحـــتَ أعبـــاء الـــضَّمير
متـــسلِّقًا جَبَـــلَ الحيـــاةِ الـــوْعرَ ، كالـــشَّيخ الـــضَّرير
دامـــى الأكـــفِّ ، مُمَـــزّقَ الأقـــدَامِ ، مُغـــزّ الـــشعور
مُتْـــريِّح الخطـــواتِ مـــا بـــين المزالـــق والـــصُّخور
هالتْـــهُ أشـــباحُ الظـــلامِ ، وراعُـــه صـــوت القبـــور
ودويُّ أعْصـــار الأســـى ، والمـــوت ، فى تلـــك الوعـــورْ

* * *

مـــاذا جنيْـــت مـــن الحيـــاة ومـــن تجاريـــب الـــدهُّور
غـــيرَ الندامـــةِ والأســـى واليـــأسِ والـــدمعِ الغزيـــر ؟
هـــذا حَـــصادى مـــن حقـــول العـــالَمِ الرَّحْـــبِ الخطـــير
هـــذا حصـــادى كلُّـــهُ ، فى يقظـــةِ العهـــــدِ الأخـــيرْ

* * *

قـــد كنـــتُ فى زمـــنِ الطفولـــةِ ، والـــسذاجةِ ، والطهـــور
أحيـــا كمـــا تحيـــا البلابـــلُ ، والجـــداولُ ، والزُّهـــور
لا نحفـــل ، الـــدنيا تـــدور بأهلـــها ، أو لا تـــدور
واليـــومَ أُحيـــا مُرْهـــقَ الأعـــصاب ، مـــشبوبَ الـــشعور
مُتـــأَجِّجَ الإحـــساسِ ، أحفـــلُ بـــالعظيم ، وبـــالحقير
تمـــشى علـــى قلـــبى الحيـــاةُ ، ويزَحَـــفُ الكـــونُ الكـــبير
هـــذا مصـــيرى ، يـــا بـــنى ، فمـــا أشقـــى المصـــير !

من أغانى الرعاة

حل الشاعر صيفًا بعين دراهم (من الشمال التونسى) مستشفيا . وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة ، والجبال الشم المجللة بالسنديان قضى عهدًا شعريًا ، وادعًا خالصًا ، والسحر والأحلام . وفى القصيد التالى صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال ، والأوديةُ والغابات .

أقبل الصُّبْحُ يُغنِّى للحياةِ الناعسةْ
والرُّبى تحلمُ فى ظلِّ الغصونْ المائسةْ
والصِّبا تُرقص أوراق الزهور اليابسةْ
وتَهادَى النُّور فى تلك الفِجاج الدامسةْ

* * *

أقبَـــلَ الـــصبحُ جمـــيلاً ، يمـــلأُ الأفْـــقَ بهـــاهْ
فتمطّـــى الزهـــرُ ، والطيْـــرُ وأمـــواجُ الميـــاهْ
قـــد أفـــاقَ العـــالمُ الحـــيُّ ، وغنَّـــى للحيـــاةْ
فأفيقى يا خِـــرافى ، وهلِّمـــى يـــا شِيـــاه

* * *

واتبعـــينى يـــا شِـــياهى ، بـــين أســـراب الطيـــورْ
وامـــلأ الـــوادى ثُغـــاءً ، ومِراحـــا وحبـــورْ
واسمعـــى همـــس الـــسواق ، وانـــشقى عطـــر الزهـــورْ
وانظـــرى الـــوادى ، يغشِّيـــه الضبـــابُ المـــستنيرْ

* * *

واقطفـــى مـــن كـــلأ الأرض ، ومَرعاهـــا الجديـــدْ
واسمعـــى شـــبَّابتى تـــشدو ، بمعـــسول النـــشيدْ
نَغَـــمٌ يَـــصْعَدُ مِـــنْ قلـــبى ، كأنفـــاسِ الـــورودْ
ثمَ يَسْمُـــو طائـــرًا ، كالبلبـــل الشـــادى الـــسعيدْ

* * *

وإذا جئْنـــا إلى الغـــابِ ، وغَطّانـــا الـــشجرْ

فـــاقطفى مـــا شـــئتِ مِـــنْ عُـــشْبٍ ، وزَهْـــرٍ وثَمَـــرْ

أرَضَـــعَتْهُ الـــشّمْسُ بالـــضوءِ ، وَغـــذّاه القَمَـــرْ

وارتَوَى مـــن فَطَـــراتِ الطَّلِّ فى وَقْـــتِ السِّحـــرْ

* * *

وامْرَحِـــى مـــا شـــئتِ فى الوديـــان ، أو فـــوقَ الـــتلالْ

واربـــضى فى ظلـــها الـــوارف ، إن خِفـــتِ الكـــلالْ

وأمـــضغى الأعـــشابَ ، والأفكـــار فى صـــمت الظـــلالْ

واسمعـــى الريـــح تُغنِّـــى ، فى شماريـــخِ الجبَـــالْ

إن فى الغـــاب أزاهـــيرًا ، وأعـــشابًا عِـــذاب

يُنـــشِيدُ النّحْـــلُ حواليْهـــا ، أهازيجًـــا طـــرابْ

لم تُـــدَنِّس عِطرَهـــا الطـــاهرُ أنفـــاسُ الـــذئابْ

لا ، ولا طَـــافَ بهـــا الثعلـــبُ فى بعـــضِ الصَّحابْ !

* * *

وشـــذا حلـــوًا ، وسِـــحْرًا ، وســـلامًا ، وظِـــلالْ

ونَـــسيمًا ســـاحِرَ الخطـــوةِ ، موفـــورَ الـــدلالْ

وغـــصونًا يَـــرْقُصُ النـــورُ عليهـــا ، والجمـــالْ

وأخضـــــرارًا أبديًـــا ، ليـــس تَمْحُـــــــوه الليـــــالْ

* * *

لم تَمَلِّـــى ، يـــا خـــرافى ، فى حمـــى الغـــاب الظليـــلْ

فزمـــانُ الغـــاب طفـــلٌ ، لاعـــبٌ ، عـــذبٌ جميـــل

وزمـــانُ النـــاس شَـــيْخٌ ، عـــابسُ الوجـــه ، ثقيـــل

يتمشّى فى مـــلال ، فـــوق هاتيـــك الـــسهـــول

* * *

لـــكِ فى الغابـــات مرعـــاكِ ، ومـــسعاكِ الجميـــلْ

وليَ الإنـــشادُ ، والعـــزف إلى وقـــت الأصـــيل

فـــإذا طالـــتْ ظِـــلالُ الكـــلأ ، الغـــضِّ ، الـــضئيل

فهامِّى نرجـــع المسعـــى إلى الحـــيِّ النبيـــل

* * *

الصباح الجديد

أسكـــنى يا جـــرَاح واسكنى يا شجـــون
مات عهد النـــــواح وزمان الجنـــــــون
وأطـــلَّ الصـــبـــاحْ مِنْ وراء القـــــرون

* * *

فى فجـــاج الـــرَّدى قـــد دفنـــت الألَمْ
ونثرتُ الدُّمـــــوعْ لـــريـــاحِ العَـــدمْ
واتَّخذتُ الحيـــــاة معِـــــزفًا للنَغـــــمْ
أتغنى علـــيـــه فـــى رحـــــاب الزمـــان

* * *

وأذبـــتُ الأسَـــــى فى جمال الوجـــــودْ
ودحوت الفـــــؤادْ واحةً للنشـــــــيدْ
والضيا والظـــــلالْ والشّذَى والحَنـــــانْ
والهـــــوى والشباب والمـــنى والحنـــــان

* * *

أسكنى يا جـــرَاح واســكنى يا شجون
مات عهد النــواح وزمــان الجنـــون
وأطــلَّ الصـــباحْ مِنْ وراء القـــرون

* * *

فى فؤادى الرحيــبْ معيــدٌ للجــمــال
شــيَّدتــْه الحيــاة بالــرُّؤى ، والخيــال
فتلوْتُ الصـــلاة فى خشوع الظلال ...
وحرقت البخـــور وأضأتُ الشــموعْ ..

* * *

إن سِحْــرَ الحيـــاة خـــالدٌ لا يــزولْ
فعلام الشـــكاه مــن ظــلامٍ يحــول
ثمَّ يأتى الصبـــاح وتُمر الفصول ... ؟
سوف يأتى ربيـــعْ أن تقضــىَّ ربيــع

* * *

أسكنى يـــا جـــرَاح واسكنى يا شجـــون
مات عهـــد النواح وزمان الجنـــــــون
وأطـــــــلَّ الصباحْ مِنْ وراء القـــــرون

* * *

مـــن وراء الظـــلامْ وهـــديـــرِ الميـــــاهْ
قد دعـــانى الصباح وربيـــــعْ الحيـــــاةْ
يـــا لـــه من دُعَـــاء هزَّ قلبـــى صـــداه !
لَـــمْ يَعُدْ لى بَقـــاء فوق هذى البقـــــاع

* * *

الوَداعَ ! الـــوَداعَ ! يـــا جـــبالَ الهمومْ
يا ضبابَ الأســـى ! يا فجـــاجْ الجحيم !
قد جـــــرى زورْقى فى الخضـــمِّ العظيم ..
ونشرتُ القـــلاعْ .. فالوَداع ! الوَداع !

* * *

ألحانى السكرى

قـــد ســـكرنا بحبنـــا واكتفينـــا
يا مـــديرَ الكـــؤوسِ فاصـــرف
كؤوسك واسكبْ الخمرَ للعصافيرِ والنخلِ
وخـــلِّ الثـــرى يَـــضُم عروسَـــكْ

* * *

مالنا والكؤوس ، نطلـــب منـــها
نـــشوةً والغـــرامُ ســـحرٌ وسُـــكرُ !
خَلِّنا منك ، فالربيع لنـــا ســـاقِ
وهـــذا الفـــضاءُ كـــاسٌ وخمـــر !

* * *

نحن نحيا كالطير ، فى الأُفق الساجى
وكالنحل ، فوق غـــضِّ الزهـــور
لا ترى غيرَ فتنـــةِ العـــالم الحـــيِّ
وأحـــلامِ قلبـــها المـــسحور ...

* * *

نحن نلهو وتحتَ الظلالِ ، كطفلين
ســـعيدين ، فى غُـــرور الطفولـــةْ
وعلى الصخرةِ الجميلةِ فى الوادى
وبين المخـــاوفِ المجـــهـــولـــةْ

نحن نغدو بين المـــروج ونُمـــسى ونغنِّـــى مـــع النـــسيم المغنِّـــى

وتناجى روحَ الطبيعةِ فى الكـــون وتُـــــصغى لقلبـــــها المـــــتغنى

* * *

نحن مثل الربيع : نمشى على أرضٍ من الزهر ، والـــرؤى ، والخيـــال

فوقها يـــرقص الغـــرام ، ويلـــهو ويغنِّـــــــى فى نـــــــشوةٍ ودلالِ

* * *

نحن نحيا فى جنة من جِنان السحر فى عالمٍ بعيدٍ ... ، بعيـــد ... ،

نحن فى عُـــشِّنَا المُـــوَرَّدِ ، نتلـــو سُوَرَ الحـــبُّ للـــشبَّابِ الـــسعيد

* * *

قد تركنا الْوجودَ للناس ، فليقـــــ ـــــضُوا الحيـــاةَ كيـــف أردوا

وذهبنـــا بلبِّـــه ، وهـــو روحٌ وتركنا القشورَ ، وهـــى جَمـــادُ

* * *

قد ســـكرنا بحبنـــا ، واكتفينـــا طَفحَ الكأس ، فاذهبوا يا سُـــقاة

نحن نحيا فلا نريد مزيدًا
حسبنا يا منحتنا ، ما حياةُ

* * *

حسبنا زهرُنا الذى نَتَنشَّى
حسْبنا كأسُنا التى نترشّف

إنَّ فى ثغرنا رحيقًا سماويًّا
وفى قلبنا ربيعًا مفوَّفْ

* * *

أيها الدهر ، أيها الزمن الجارى
إلى غير وُجهةٍ وقرار !

أيها الكون ! أيها الفلك الدَّوَّار
بالفجر ، والدجى ، والنهار !

* * *

أيها الموت ! أيها القدر الأعمى !
قِفُوا حيث أنتُم ! أو فسيرُوا

ودعونا هنا : تُغَنِّى لنا الأحلامُ
والحبُّ ، والوجودُ ، الكبير

* * *

وإذا ما أَبَيتُم ، فاحملونا
ولهيبُ الغرام فى شفتيْنا

وزهورُ الحياة ، تعبقُ بالعطر
وبالسحر ، والصِّبا فى يدْيَنا

إرادة الحياة

إذا الـــشعبُ يومًـــا أراد الحيـــاة
فلابـــدَّ أن يـــستجيب القـــدرْ
ولابـــد للّيـــل أن ينجلـــى
ولابـــدّ للقيـــد أن ينكـــسرْ
ومن لم يعانقـــهْ شـــوْقُ الحيـــاة
تبخَّـــرَ فى جوِّهـــا ، وانـــدثر
فويـــل لمـــن لم تَـــشْقُهُ الحيـــاة
مـــن صـــفْعة العـــدَم المنتـــصر
كـــذلك قالـــت ليَ الكائنـــاتُ
وحـــدَّثنى روحُهـــا المـــستتر

* * *

ودمدمت الـــرِّيحُ بـــين الفِجـــاج
وفوق الجبال وتحـــت الـــشجر :
(إذا مـــا طمحـــتُ إلى غايـــةٍ
ركبتُ المُنى ، ونـــسِيتُ الحـــذر)

(ولم أتجنّب وعورَ الشِّعاب

ولا كُبَّةَ اللّهَب المستعر)

(ومن لا يحبُّ صعودَ الجبال

يعش أبدَ الدهر بين الحُفَر)

فعجَّتْ بِقلبي دماءٌ الشباب

وضجّت بصدرِى رياحٌ أَخر ...

وأطرقتُ ، أصغى لقصف الرعود

وعزف الرياح ، ووقع المطر

* * *

وقالت ليَ الأرض ــ لما سألت . (أيا أمُّ هل تكرهين البشر ؟) :

(أبارك فى الناس أهلَ الطموح ومن يستلذُّ ركوبَ الخطر)

(وألْعنُ من لا يماشى الزمانَ ، ويقنع بالعيْش عيشَ الحجَر)

(هو الكون حيٌّ ، يحبُّ الحياة ويحتقر المَيْتَ مهما كبرُ)

(فلا الأُفقِ يحضُن ميْتَ الطيورِ ، ولا النحلُ يلثيمِ ميْتَ الزهر)

(ولولا أُمومةُ قلبِى الرُّؤوم لَمَا ضمّتْ الميْتَ تلك الحُفَر)

فويلٌ لمن لم تشُقه الحياة ، مِنْ لعنة العدمِ المنتصر !)

* * *

وفى ليلةٍ من ليالى الخريف مثقَّلةٍ بالأسى والضجر
سكوت بها من ضياء النجوم وغنَّيْتُ للحُزْن حتى سكر
سألتُ الدجى : هل تُعيد الحياةُ لما أذبلته ربيعَ العمر ؟
فلم تتكلّم شفاه الظلام ولم تترنَّمْ عذارى السحرَ
وقال لىَ الغابُ فى رقةٍ مُحَبَّبَةٍ مثل خفْق الوتر :
(يجيء الشتاء ، شتاء الضباب ، شتاء الثلوج ، شتاء المطر)
(فينطفئُ السِّحرُ ، سحر الغصون ، وسحرُ الزهور ، وسحر الثمر)
(وسحر السماء ، الشجيُّ ، الوديعُ ، وسحرُ المروج ، الشهيُّ ، العطِر)
(وهْوى الغصونُ ، وأوراقَها وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نضِر)
(وتلهو بها الريح فى كل وادٍ ويدفنها السيلُ ، أبَّى عبر)
(ويفنى الجميعُ كحُلْمٍ بديع ، تألّق فى مهجةٍ واندثر)
(وتبقى البذورُ ، التى حُمِّلَتْ ذخيرةَ عُمْرٍ جميلٍ ، غَبَر)
(وذكرى فصولِ ، ورؤيا حياةٍ ، وأشباحَ دنيا ، تلاشتْ زُمَر)
(معانقةً ــ وهى تحت الضباب ، وتحت الثلوج ، وتحت المَدرَ ــ)
(لِطَيْفِ الحياة الذى لا يُمَلُّ ، وقلبِ الربيع الشذىِّ الخضِر)
(وحالمةً بأغانى الطيور ، وعِطْرِ الزهور ، وطعمِ الثمر)

* * *

(ويمشى الزمان ، فتنمو صروف ، وتـذوى صـروف ، وتحيـا أخـرَ)

(وتُـصبِحُ أحلامهـا يقْظـةً ، مُوَشَـحةً بغمـوض الـسَّحَر)

(تُسائل : أين ضباب الـصباح ، وسِـحْرُ المـساء ؟ وضـوء القمـر ؟)

(وأسـرابُ ذاك الفَـراشِ الأنيـقِ ؟ ونحـلٌ يغنِّـى ، وغـيمٌ يمـر ؟)

(وأيـن الأشـعَّةُ والكائنـاتُ ؟ وأيـن الحيـاة الـتى أنتظـر ؟)

(ظمِئتُ إلى النور ، فوق الغـصون ! ظمِئـتُ إلى الظـلِّ تحـتَ الـشجرْ !)

(ظمِئتُ إلى النبْعِ ، بـين المـروج ، يغنَـى ، ويـرقص فـوق الزَّهَـر !)

(ظمئتُ إلى نَغَمـات الطيـور ، وهَمْـسِ النّـسِيمِ ، ولحـن المطـر ،)

(ظمئـتُ إلى الكـون ! أيـن الوجـودُ وأنى أرى العـالَمَ المنتظـر ؟)

(هـو الكـونُ ، خلف سبات الجمود ، وفى أُفقِ اليقظات الكُبَر)

(ومـا هـو إلا كخفـق الجنـاح حـتى نمـا شـوقُها وانتـصر)

(فصَدِّعت الأرضَ مـن فوقهـا وأبْـصرت الكـونَ عـذبَ الـصُّورَ)

(وجـاء الربيـعُ ، بأنغامـه . وأحلامـه ، وصِـبَاه العطِـر)

(وقبَّلـها قُـبَلاً فى الـشفاه ، تعيـد الـشباب الـذى قـد غَبَـر)

(وقال لها : قـد مُنحْـتِ الحيـاةَ ، وخُلِّـدْتِ فى نـسليك المُـدَّخَر)

(وبارَكـكِ النُّـورُ ، فاسـتقبلى شـابَ الحيـاة وخِـصْبَ العُمـرُ)

(ومـن تعبـد النـورَ أحلامُـه ، يُبَارِكُـهُ النُّـورُ إلّـى ظهـر)

(إليكِ الفضاء ، إليكِ الضياءَ ، إليك الثرى ، الحالَ ، المزدهر !)

(إليكِ الجمالَ الذى لا يَبيدُ ! إليكِ الوجودَ ، الرحيبَ ، النضِر !)

(فميدى ــ كما شئتِ ــ فوق الحقول ، بحلول الثمار وغضِّ الزَّهرَ)

(وناجى النسيمَ ، وناجى الغيومَ ، وناجى النجومَ ، وناجى القمر)

(وناجى الحياةَ وأشواقَها ، وفتنةَ ، هذا الوجود الأغر)

* * *

(وشفَّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ ، يشبُ الخيالَ ، ويُذكى الفِكَر)

(ومُدَّ على الكون سِحرٌ غريبٌ ، يُصَرِّفه ساحرٌ مقتدر)

(وضاءت شموعُ النجوم الوضاء ، وضاع البَخُورُ ، بخور الزَّهَر)

(ورفرف روحٌ ، غريبُ الجمالِ بأجنحةٍ من ضياء القمر)

(ورنَّ نشيدُ الحياة المقدَّسُ فى هيكل ، حالمٍ ، قد سُحِر)

(وأُعلِنَ فى الكون أنَّ الطموحَ لهيبُ الحياةِ ، وروحُ الظفَر)

(إذا طمحتْ للحياة النفوس فلابدَّ أنْ يستجيبَ القدر !)

* * *

إلي الشَّعب

أين يا شـــعبُ قُلبُكَ الخافقُ الحسَّاسُ ؟

أيـــــن الطمـــــوحُ ، والأحـــــلامُ ؟

أين يا شعبُ ، روحُك الشاعرُ الفنَّانُ ؟

أيـــــن ، الخيـــــال والإلهـــــامُ ؟

أين يا شعب ، فنُّك ، الساحرُ الخلاّقُ ؟

أيـــــن الرســـــومُ والأنغـــــام ؟

إنَّ يمَّ الحيـــاة يـــدوى حوالَيْـــكَ

فـــــأين المُغـــــامِرُ ، المقـــــدامُ

أين عزم الحيـــاة ؟ لا شـــيءَ إلاَّ

الموتُ ، والصَّمتُ والأسى ، والظلامُ

عُمُـــرٌ مَيِّـــتٌ ، وقلـــبٌ خـــوآءٌ

ودمُ ، لا تـــــــــــــــثيره الآلام

وحياةٌ ، تنامُ فى ظلمـــة الـــوادى

وتنمـــو مـــن فوقهـــا الأوهـــام

أيُّ عيش هـــذا ، وأيُّ حيـــاة ؟ !

(رُبَّ عَيْشٍ أَخفُّ منه الحَمـــَام)

قد مشتْ حولكَ الفصول وغنَّتْكَ

فلـــم تبتـــهج ، ولم تتـــرنَّمْ

وذَوَتْ فوقك العواصفُ والأنـــواء

حـــتى أوْشَـــكْتَ أن تـــتحطّم

وأطافَتْ بكَ الوحوشُ وناشـــتك

فلـــم تـــضطرب ، ولم تتـــأَلمْ

يا إلهى ! أما تحسُّ ؟ أما تشدو ؟

أما تـــشتكى ؟ أمـــا تـــتكلّمْ ؟

مَلّ نَهْرُ الزَّمـــانِ أيَامـــك المـــوتَى

وأنقـــاضَ عُمْـــرِكَ المتهـــدِّم

أنتَ لا مَيِّت فيبلَـــى ، ولا حـــيٌّ

ليمشى ، بل كائنٌ ، ليس يُفْهَـــمْ

أبـــدا يرمـــق الفـــراغَ بطـــرفٍ

جـــامدٍ ، ولا يرى العوالِمَ ، مُظْلِمْ

أيُّ سحر ، هل أنـــت مسحـــور

شقـــي ؟ أو مـــارد ، يـــتـــهـــكـــــم؟

* * *

آه ! أنت في الشعوب عجـــوز ،

فيلســـــوف ، محطـــــم في إهابـــــــه

مات شوق الشباب في قلبه الذاوي

وعـــزم الحيـــــاة في أعصـــــابـــــــه

فمضى ينشد السلام .. ، بعيدا ...

في (قبور الزمان) خلـــف هضـــــابـــه

وهناك اصطفى البقاء مع الأموات ،

في (قبر أمســـــه) غـــير آبـــــــه ...

وارتضى القبر مســـكنا ، تتلاشى

فيـــــــه أيـــــام عمـــــره المتشـــــابه

وتناسى الحياة ، والزمـــن الـــداوى

ومـــــا كـــان من قـــديم رغـــابـــــه

فالزم القبر ... فهو بيت ، شبيـــه

بك في صمـــت قلبـــــه ، وخرابـــــه

وأعْبدِ (الأمس) وادَّكِر صُوَرَ الماضى

فدُنْيَا العجوز ذِكرى شـــبابِه ...

* * *

وإذا مَـــرَّت الحيـــاةُ حوالَيْـــك

جميلاً ، كـــالزهر عـــضَّا صِـــباها

تتغنّى الحيـــاة بالـــشوق والعـــزم

فيُحيِـــى قلـــبَ المجـــاد غِناهـــا

والربيعُ الجميـــلُ يـــرقص فـــوق

الورد ، والعشب ، مُنْشِيدًا ، تبَّاها

ومشى الناسُ خلفهـــا ، يتمَلّـــوْن

جمـــالَ الوجـــود فى مَرْآهـــا

فأحْذَرْ السِّحْرَ أيها الناسكُ القِدّيسُ ،

إنَّ الحيـــاةُ يُغْـــوى بَهاهـــا

والربيعُ الفَنَّانُ شـــاعِرُها المفتـــونُ

يُغـــرى بحبـــها وهواهـــا

وَتَمَلَّ الجمالَ فى رِمَم المـــوتى .. !

بعيدًا عـــن ســـحرها وصـــداها

وتَغَــزَّل بــسحر أيامِــك الأولى

وحَــلِّ الحيــاةَ تخطــو خطاهــا

* * *

وإذا هبَّت الطيورُ مــع الفجــر ،

تُغنِّــى بــين المــروج الجميلــةْ

وتُحَيِّى الحياةَ ، والعَــالَمَ الحــيَّ ،

بــصوتِ المحبَّبــةِ المعــسولة

والفراشْ الجميلُ رَفْرَفَ فى الروض ،

يناجى زهــوره المطاولــة

وأفاقَ الوجودُ لِلْعمــل المُجْــدى

وللــسّعى ، والمعــانى الجليلــة

ومشى الناس فى الشِّعاب ، وفى الغاب ،

وفــوق المــسالكِ المجهولــةْ

ينشدون الجمالَ ، والنُّورَ ، والأفراحَ

والمجــدَ ، والحيــاةَ النبيلــةْ

فاغضض الطرفَ فى الظلامِ ! وحاذِرْ

فِتْنة النُّورِ . ! فهْيَ رؤيَا مَهولــةْ ..

وصباحُ الحياةِ لا يُــوقِظُ المَــوْتَى

ولا يــــرحمُ الجفـــونَ الكليلـــةْ

* * *

كلُّ شيءُ يعاطِف العالَم الحــيَّ ،

ويُـــذكِي حياتـــه ، ويُفيـــدُهْ

والذى لا يُجاوِب الكونَ بالإحساس

عِبءٌ على الوجــود ، وجُــودُهْ

كلُ شيءٍ يسايرُ الــزمنَ الماشــى

بعــــزمٍ حـــتى التـــرابُ ودودهُ

كلُّ شيء ــ إلاّكَ ــ حيٌ ، عطوفٌ

يُؤنِسُ الكونَ شَــوْثهُ ، وَنَــشيدهُ

فلِماذا تعيش فى الكون يا صاحِ !

وما فيكَ مــن جنّــى يــستفيدُهْ

لستَ يا شــيخُ للحيــاةِ بأَهْــلٍ

أنـــت داءٌ يُبيـــدُهَا وتُبيـــدُهْ

أنـــت قَفْـــرٌ جهنَّمـــيٌّ لَعِـــينٌ ،

مُظلمٌ ، قاحلٌ ، مُريــع جمــودُهْ

لا تُرِفُّ الحياة فيــه ، فــلا طــيرٌ
يُغنِّــى ، ولا ســحابٌ يَجُــودُهُ

أنتَ يا كــاهنَ الظــلامِ حيــاةٌ
تعبد الموتَ .. ! أنت روحٌ شــقيُّ

كافرٌ بالحياةِ والنُّورِ .. ، لا يُصغى
إلى الكــون قلبُــهُ الحَجَــريُّ

أنت قلبٌ ، ولا شوقَ فيه ولا عزمَ
وهــذا داءُ الحيــاةِ الــدَّوِيُّ

أنتَ دنيا ، يُظِلُّها أفــقُ الماضــى
وليــلُ الكآبــةِ الأبــديُّ

مات فيها الزمــانُ ، وإلى ونُ إلاّ
أمسُها الغابرُ ، القديمُ ، القــصِيُّ

والشقيُّ الشقيُّ فى الأرض قلــبٌ
يَومُــهُ مَيِّــتٌ ، وماضــيه حــيُّ

أنتَ لا شيءَ فى الوجودِ ، فغادِرْهُ
إلى المــوت فَهْــوَ عنــكَ غَنِــيُّ

نشيد الجبّار

أو هكذا غنى بروميثيوس

سأعيش رغمَ الداءُ والأعداءُ
كالنِّسر فوق القِمَّةِ الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة . ، هازئًا
بالسحْب ، والأمطارِ ، والأنواء
...
لا أرمقُ الظلَّ الكئيبَ .. ، ولا أرى
ما فى قرار الهُوّة السوداء ...
وأسيرُ فى الدنيا المشاعر ، حالمًا ،
غردًا ــ وتلك سعادة الشعراء ــ
أصغِى لموسيقى الحياة ، ووحْيها
وأذيب روحَ الكون فى إنشائى
وأصيخُ الصوت الإلهيِّ ، الذى
يُحيى بقلبى ميّتَ الأصداء

* * *

وأقول للقدر الذى لا ينثنى
عن حرب آمالى بكل بلاء :

(لا يطفىء اللهبَ المؤجَّج فى دمى
موجُ الأسى ، وعواطف الأرزاء)

(فاهدم فؤادى ما استطعتَ ، فإنه
سيكون مثل الصخرة الـصماء)

(لا يعرف الشكوى الذليلةَ والبكاء
وضَراعَة الأطفـال والـضعفاء)

(ويعيش جبَّارًا ، يحـدِّق دائمًـا
بالفجر .. ، بـالفجر الجميـل ،
النائى) (وأملأ طريقى بالمخاوفِ ، والدجى ،
وزوابعِ الأشـواك ، والحـصباء)

(وانشر عليه الرُّعبَ ، وانثر فوقه
رُجمَ الرّدى ، وصواعقَ البأساء)

(سأظل أمشى رغم ذلك ، عازفًا
قيثـارتى ، مترنمًـا بغنـائى)

(أمشى بروح حـالمٍ ، مُتَـوَهِّجٍ
فى ظلمـة الآلام والأدواء)

(النور . فى قلبى وبـين جـوانحى
فعلام أخشى السير فى الظلماء !)

(إنى أنا النايُ الـذى لا تنتـهى
أنغامـه ، مـا دام فى الأحيـاء)

(وأنا الخضمُ الرحبْ ، ليس تزيده
إلا حيـــاةً ســـطوةُ الأنـــواء)

(أمَّا إذا خمدت حياتى ، وانقضى
عُمرى ، وأخرست المنيَّـــه نـــائى)

(وخبا لهيبُ الكون فى قلبى الذى
قد عاش مثلَ الـــشعلة الحمـــراء)

(فأنا الـــسعيد بـــأننى مُتَحَـــوِّلٌ
عن عـــالم الآثـــام ، والبغـــضاء)

(لأذوبَ فى فجر الجمال السرمديْ
وأرتوى من مَنْهَـــلِ الأضـــواء)

* * *

وأقول للجمع الـــذين تجـــشموا
هدمِى وودوا لـــو يخـــرُّ بنـــائى

ورأوا على الأشواك ظلِّى هامـــدًا
فتخيَّلُوا أنِّـــى قـــضيْتُ ذَمـــائى

وغدوْا يَشُبُّونَ اللهيبَ بكـــلِّ مـــا
وجدوا .. ، ليشوُوا فوقه أشلائى

ومضّوْا يمدون الخوان ، ليـــأكلوا
لحمى ، ويرتشفوا عليـــه دمـــائى

إنى أقول لهم ــ ووجهى مشرقُ

وعلى شفاهى بسمة استهزاء :

(إن المعاول لا تهد مناكبى

والنار لا تأتى على أعضائى)

(فارموا إلى النار الحشائش .. ، والعبوا

يا معشر الأطفال تحت سمائى)

(وإذا تمرَّدت العواطف ، وانتشى

بالهول قلب القبة الزرقاء)

(ورأيتمونى طائرًا ، مترنِّمًا

فوق الزوابع ، فى القضاء النائى)

(فارمو على ظلى الحجارة ، واختفوا

خوْفَ الرياحِ الهُوجِ والأنوار ...)

(وهناكَ ، فى أمْنِ البيوت ، تطارحوا

غَثَّ الحديث ، وميِّتَ الآراء)

(وترنَّموا ــ ما شئتمُ ــ بشتائمى

وتجاهروا ــ ما شئتمُ ــ بِعدائى)

(أما أنا فأجيبكم من فوقكم

والشمسُ والشفقُ الجميل إزائى :)

(من جاش بالوحى المقدَّس قلبُه

لم يحتفِلْ بحجارة الفلتاء)

شكوى ضائعة

يا ليل ! ما تصنع النفسُ التى سكنت
هذا الوجودَ ، ومِنْ أعدائها القدر
؟ ترضى وتسكت ؟ هذا غير محتمل !
إذًا ، فهل ترفض الدنيا ، وتنتحر
؟ وذا جنونُ لَعَمْرى ، كلُّه جَزَعٌ
باكٍ ، ورأيٌ مريضٌ ، كلُّه خَورَ ؟
فإنما الموت ضربٌ مـــن حبائلـــه
لا يُفلت الخلقُ ما عاشوا ، فما النظر !
هذا هو اللغْزُ ، عَمَّـــاه وَعَقَّـــدَهُ
على الخليقة ، وحشٌ ، فاتكٌ حذِر
قد كَبَّلَ القدرُ الـــضارى فرائـــسَه
فما استطاعوا له دفعًا ، ولا حَزروا
وخَاطَ أعينَهم ، كى لا تـــشاهده
عينٌ ، فتعلم ما يأتى ومـــا يـــذر
وحاطهم بفنـــونٍ مـــن حبائلـــه
فما لهم أبـــدًا مـــن بطـــشه وزَر
لا الموت يُنقذهم من هول صولته
ولا الحياةُ . تَسَاوى الناسُ والحجر
! حَارَ المساكينُ ، وارتاعوا ، وأعجَزَهم
أن يحذروه ، وهل يُجـــديهم الحـــذر

وهم يعيـــشون فى دنيـــا مـــشيَّدةٍ
من الخطوب ، وكونٍ كله خطر ؟
وكيف يحذر أعمَى ، مُدلِجُ ، تَعِبٌ ،
هولَ الظلام ، ولا عزمُ ولا بَصَرُ ؟
قد أيقنوا أنه لا شـــىء يُنقـــذهم
فاستسلموا لكون الرعب ، وانتظروا ..
ولو رأوه لسارت كـــى تحاربـــه
من الورى زُمَرٌ ، فى إثرهـــا زمـــر
وثارت الجنّ ، والأمـــلاك ناقمـــةً
والبحرُ ، والبَرُّ ، والأفلاكُ ، والعُصرُ
لكنـــه قـــوَّةُ تُملـــى إرادتهـــا
سرًا ، فَتَعْنُوا لها قهـــرًا ، ونـــأتمر
حقيقةُ مرَّةُ ، يا ليـــل ، مُبْغـــضَةٌ
كالموت ، لكنْ إليها الورْدُ الصْدَرُ

* * *

تَنَهَّدَ الليلُ ، حتى قلت : (قد نُثِرَتْ
تلك النجومُ ، ومات الجنُّ والبشر
وعاد للصمت .. ، يُصغى فى كآبتـــه
ـــ كالفيلسوف ـــ إلى الدنيا ، ويفتكر ..
وقَهْقَه القدرُ الجبَّارُ ، سخريةً
بالكائنات . تَضَاحَكْ أيُّها القدر !
تمشى إلى العدمَ المحتوم ، باكيةً
طرائفُ الخلق والأشكالُ والصور
وأنت فوقَ الأسى والموتِ ، مبتسمٌ
ترنو إلى الكون ، يُبْنَى ، ثمَّ يندثر

فلسفة الثعبان المقدس

فلسفة الثعبان المقدس هى فلسفة القوة المثقفة فى كل مكان . وكما تحدث الثعبان فى القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يرين له الهلاك الذى أوقعه فيه ، فسماه (تضحية) وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس ...

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حينما تحاول أن تسوغ طريقتها فى ابتلاعها والعمل لقتل مميزاتها القومية فتسميها : (سياسة الإدماج) وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذى لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها فى هذا العالم ، وبلوغ الكمال الإنسانى المنشود ، ولكن الفناء حقيقة شنيعة . مبغضة ، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما فى التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام) .

كان الربيعُ الحيُّ روحًـــا ، حالمًـــا
غضَّ الشباب ، معطَّـــرَ الجلبـــاب

يمشى على الدنيا ، بفكرة شـــاعرٍ
ويطوفها ، فى موكـــبٍ خـــلاّب

والأُفْقُ يمـــلأه الحنـــانُ ، كأنـــه
قلبُ الوجـــود المنـــتجِ الوَهـــاب

والكون من طُهْرِ الحيـــاة كأنمـــا
هوَ معبدٌ ، والغـــابُ كـــالمحراب

الشاعرُ الشحرورُ يرقص ، منشدًا
للشمس ، فوقَ الوردِ والأعشاب

شعْرَ السعادة والسلام ، ونفـــسهُ
سَكْرَى بسِحْر العـــالَم الخـــلاّب

ورآه ثعبـــانُ الجبـــال ، فغمَّـــه
ما فيه من مَرَحٍ ، وفَيْض شـــباب

وانقـــضْ ، مـــضْطغِنًا ، كأنَّـــه
سوطُ القضاء ، ولعنـــةُ الأربـــاب

بغِيتْ الشقى ، فصاح فى هول القضا
متلفِّتًـــا للـــصائل المُنْتَـــاب

وتَدَفَّقَ المسكينُ يــصرخ ثــائرًا :

(ماذا جنيتُ أنا فحق عقــابى !)

(لا شــىء ، إلا أنــنى متغــزلُ

بالكائنــات ، مغــردٌ فى غــابى)

(ألقى من الدنيا حنانًــا طــاهرًا

وأبثُها نجــوى المحــبِّ الــصابى)

(أُيُعَد هذا فى الوجود جريمــةً ؟ !

أين العدالةُ يا رفــاقَ شــبابى ؟)

(لا (أين ؟) ، فالشرعُ المقَّدسُ هاهنا

رَأيُ القويِّ وفكــرةُ الغــلاّب !)

(وسعادةً الضعفاءُ جُرْمٌ . . ، ماله

عند القويِّ سوى أشدِّ عقاب !)

(ولتشهد الــدنيا الــتى غَنَّيْتُهَــا

حلــمَ الــشباب الإعجــاب)

(إن السلامَ حقيقــةٌ ، مكذوبــةٌ

والعدلَ فلسفة اللــهيب الخــابى)

(لا عدلَ ، إلا أن تعادلت القُوَى

وتصَادَمَ الإرهــابُ بالإرهــاب)

فتَبَسْمَ الثعبــانُ بــسمةَ هــازىءِ

وأجاب فى سَمْتٍ ، وفَرْطِ كِذَابِ :

(يا أيها الغــيرُّ المثرثــر ، إنــنى

أرثى لثــورة جهلــك الــتلاّب)

(والغيرُّ يعذره الحكيمُ إذا صــغى

جهلُ الصِّبا فى قلبــه الوّثــاب)

(فاكبحْ عواطفَكَ الجوامحَ ، إنّها

شردتْ بُلبِّكَ ، واستمعْ لخطابى)

(إنى إلهُ ، طَالَمَا عَبَــدَ الــورى

ظلِّى ، وخافوا لعــنَتى وعقــابى)

(وتقدَّموا لى بالــضحايا منــهمُ

فَرِخين ، شــأنَ العابــد الأوَّاب)

(وسعادةُ الــنفسِ التقيِّــة أنّهــا

يومًا تكون ضــحيَّة الأربــاب)

(فتصير فى رُوح الألوهةِ بــضعة ،

قُدُسِيَّةَ ، خلصنْ من الأوشــاب)

(أفلا يسرُّكَ أنْ تكــون ضــحيَّتى

فتحلُ فى لحمــى وفى أعــصابى)

(وتكونَ عزمًا فى دمى ، وتوهُّجًا

فى ناظريَّ ، وحِـــدَّةً فى نـــابى)

(وتذوبَ فى رُوحى التى لا تنتهى

وتصيرَ بعض ألوهتى وشبابى ... ؟)

(إنى أردتُ لك الخلـــودَ مؤلهـــاً

فى روحىَ الباقى على الأحقاب ..

(فكِّرْ ، لتدركَ ما أريـــدُ ، وإنّـــه

أسمى من العيش القصير النـــابى)

(فأجابه الشحرورُ ، فى غُصَص الرِّدى

والموتُ يخنقه : (إليك جوابى :)

(لا رأيَ للحقِّ الضعيف ، ولا صدى ،

والرَّأيُ ، رأى القاهرِ الغـــلاّب)

(فاعلْ مشيئتكَ التى قـــد شـــئتها

وارحمْ جلالَكَ من سماع خطابى ..)

* * *

وكذلك تتخـــــذ المظـــالمُ منطقًا

عـــذْبًا لتخفـــى سَـــــوْءةَ الآراب

مراجع البحث

١. أغانى الحياة (ديوان الشابى) .

٢. الشابى وجبران ــ محمد خليفة التليسى .

٣. الشابى شاعر الحب والحياة ــ عمر فروخ .

٤. أبو القاسم الشابى ــ زين العابدين السنوسى .

٥. آثار الشابى وصداه فى الشرق ــ أبو القاسم محمد كرو .

٦. كفاح الشابى ــ أبو القاسم محمد كرو .

٧. الشابى ، حياته وشعره ــ أبو القاسم محمد كرو .

٨. النبى المجهول ــ مصطفى الحبيب بحرى .

٩. الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ــ مصطفى عبد اللطيف السحرتى .

١٠. جماعة أبو للو ــ عبد العزيز الدسوقى .

١١. الرومانتيكية ــ الدكتور محمد غنيمى هلال .

١٢. **Rousseau and Romanticism - By Irving Babit**

١٣. **The Romantic Agny by Mario Prez**

١٤. دراسات فى الشعر المعاصر ــ الدكتور شوقى ضعيف .